زعيم نصّار

# موجتان في زورق

# موجتان في زورق

زعيم نصّار

# موجتان في زورق

شعر

دار

**موجتان في زورق**
زعيم نصّار
طبعة الأولى : 2024
المكتبة الوطنية/الفهرسة اثناء النشر.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
(594) لسنة 2024 م
الرقم الدولي: 978-9922-9598-2-1

تصميم الغلاف والإخراج الفني
شروق سمير

**جميع الحقوق محفوظة دار أكاد**

**Copyright © 2024 AKAD**
**All rights reserved.**

# افتِتاح

كلمتان من الماء،
الماءُ امرأةٌ، والماءُ رجل،
موجةٌ أنثى، وموجةٌ أخرى،
والمرآة بينهما، ترى الموجتين في نهر الزمن، هي عيونهما، وهما ينظران إلى زورقهما، يتهادى تحت زرقة الشعلة.

انتفضْ أيها النبع، في نرجسة الأعماق، لأتذوّق ملحَ كأسها، روحَها، شعرَها، نظراتَها، شفتيها، أصابعَها، شعلتَها، انتفضْ أيها النبع لأغلقَ فمي على صوتها.

الماءُ والنار يندمجان في ألمٍ لحبٍّ واحد،
أنا قوسٌ مشدودٌ نحو ينبوعكِ،
أنا قوسُكِ والمصباح، مصباحُكِ والقوس،
دعيني التبسُ في بسالتكِ،
حبيبتي يا ناي حياتي هذه ليلتنا الأخيرة في الرحلة.
يا ملاك الكلام، يا فرح التنبُّؤ

يا حجرةُ الكريم المعلّق في عنقي،

يا فصّ الحكاية،

يـا موجـة الكلمـات المتدفقـة فـي شـراييني، فـي عـروق قلبـي، حليبُـكِ، حليـبُ الكلمـات، يتفجّـرُ فـوق ورقـي، تحمّرُ اللحظـات بيننـا، هـذا جنـون الموجتيـن فـي زورقٍ واحـد.

يا فرح الأنهار، يا لهب الكتاب وشعلته،

أيتهـا اللهـب الـذي ينقـذُ العالـمَ مـن الخـراب، وينقذنـي مـن العـدم، جمالُـكِ خـارجٌ مـن قلـب الطبيعـة، لينبـع الغـرامُ فـي كلّ شـيء، فـي الزهـرة، وفـي الفراشـة، فـي الرمـل، وفـي الحصـى، فـي الغيمـة، وفـي الشـجرة، فـي الغابـة، وفـي الصحـراء.

أيتها الخارجة من قلب الله اغمريني بشعاعكِ،

يا درّة المحار، أنتِ السرُّ الخفيُّ الذي يبدعني.

# لحظة العهد السريّ

في لحظة الغروب الباهرة
ارتفعَ عرفُ الديك
وانسلّ وراء النهر مثل الشمس.
احتضنتكِ في الساحة
فتيقنتُ أنّ المساء
يعيدُ ترتيبَ نفسه
ويحيطُكِ بضحكته.
أحلامي التي لم أستطع لمسها
كأنّها لمعان جسدكِ
في ليلي الناعم.
شهقت فرحتي العارية
إذ غرقتُ بين كفّيكِ.
بدأت رحلتنا
بدأ لهبُ الرغبة.
في لحظة الوصول
يكمن الجمال.

الماءُ والنارُ
يتحدان بصرخةِ حبٍّ
لمشهدٍ واحد،
هناك أبرمنا حلماً
مع عهدنا السريّ في لحظة الاحتضان الباهرة.

# المفاتيح في المخيلة

في متاهة المدينةِ كنتُ كمَـنْ أضاعَ مفاتيحَ
أبوابــه فــي حدائــق الــظلام، وبقــي يفتــشُ عنهــا تحــت
مصابيــح
الأرصفة.
مرّ بي العابرون
رأيتُ في عيونهم قوة الكلمات ترفعُ شراع المخيلة.
آه يا مخيلتي التي أستبدّ بها منفى غريب،
آه أيتها الكلمات
أين أجدُ بين طيّاتكِ مفاتيحَ الأبواب في هذا الظلام؟

# التماعة خاطفة

إيقاعُ البرقِ يتموّجُ في رأسي،
لتتهادى معي القصيدةُ نحو طريقها الطويل، منسوجة
من صمتِ جُروحي.
أتذكرُ سماء قلبها
أنعطفُ لناحيةٍ أخرى من الليل،
أتأملُ وجهاً يشعُّ مثل نجمةٍ من بعيد،
هو وجهكِ
أيتها العصيّة،
يا منفى المخيّلة.

حينها أطلقُ العبارةَ
مثل سهمٍ
من قوسٍ ملتهب الأوتار،
يحذفُ المسافةَ
التي تتكررُ
طيّةً

طيّةً
يركنُها على الرفّ
بعيداً عن أيّ جمرةٍ،
سوى الالتماعة الخاطفة.

# بعد الغابة، أو بابٌ بلا مغزى

1

كنتُ في ذلك الكهف البعيد، الذي لم يكن له اسم،
قبل أن أسمّي الليالي، لم يكن للكلماتِ معنى،
ولم تكن هناك ألواح، أقرأ فيها مصيري،
بعد أن استقوسَ هلالُ الشجرة
صارت الأغصان معنا، تغطي عريَّنا بالأوراق،
الأثمار أعلى قليلاً من العينين،
كنتُ أشيرُ إليها فتسقطُ، حينما أمدُّ يدي فإنها تمتلئُ بالأوهام،
يدي مقبوضةٌ، شفتاي تمرّان بهدوءٍ فوق عشّ الرغبة،
تلهبان القلب بالذروة، وقد كان الظلام متجليّاً في منزل الأيّام.

2

انفصلتُ عن الأشياء، بدأتْ حربي معها،
سال اللعابُ بالأسماء، لعابُ الشمس،

الأسماءُ أوهامٌ ماكرةٌ،
كأنها زهور لا عطر لها،
مثلي مثل من يُسمّي: القسوة بخور مريم،
والزنبق الأبيض بالنظرة اللاهبة،
القرنفل نبعي الهارب،
أما الليلك فأسميه الندبة النازفة،
النرجس رثاء الذات،
وأعمدة الصليب خناجر معتمة.
أبطال، وضحايا، آلهة أسمّيهم صوري الكاذبة: إله الليل،
إله الصدى، إله المطر، إله الرعيان،
إله الحرب والوباء لحيةُ الغراب
آلهة الطبول المجلجلة،
صانعة الأقواس،
هذه صورٌ معلّقةٌ في طابقٍ شاهقٍ وطويل على كتف السماء.

3

ثمَّ ورد في الأخبار التي وصلت إليَّ أن أحدهم مرَّ من هنا، وكان يحملُ قوساً وسهاماً، ومزماراً، وحينما انقطعتْ به السبلُ، غلبه النعاسُ، فمات بلدغة الثعبان.

4

هبّت عاصفة تكنسُ القشّ، والريش، فانحنى لها كلُّ شيء،
انحنت الأشجار، تكسّرت ارواحُها على جوانب الطرق،
انحنت توائم اللؤلؤ والنجوم، وتعرّجتِ الأنهار
من اليمين الى اليسار
حتى لاذت بالفرار
بعيداً وراء الفضاء،
نرى حناجر مخنوقةً تشهق بلا مغزى، والقمر هو الربّ.

5

فأسي بيدي، تقوّسَ ظهري،
لمّعتُ حربَتي، وبدأتُ الهبوط على الحافّة، شقيّاً بجذوة اللهب،
على كتفِي تتعكّز الفاجعةُ، عصرتني الطواحينُ بالنكبات،
أضعتُ فأسي قبل أن أصلَ إلى المدينة، على عجلٍ باغتتني المخالبُ،
تركتُ غابتي، صرتُ نزيلاً في البيتِ الغريب، وقد تشابكتْ عليَّ السهام،
أحثُّ خطاي وراء مراكب النساء المكشوفة في وسط الساحة،

بمـــاذا أســـمّي أنيـــاب الســـقوط المتدحـــرج مـــن تحـــت
شـــجرةِ التـــوت الـــى البـــاب؟

6

ماذا أفعل بهذا الندم؟
جمرتي الوحيدة تحت جلد المنيّة،
أتصدّعُ، وأنهارُ
أتمرّغُ لاعناً المخاوف والأراجيف.
تدمي رأسي مناقيرُ الأسئلة،
كيف انتزعتُ قلبي البريّ، ورميته في الأقفاص،
كيف خرجتُ من الغابة، لأدخل هذا الباب منحنياً؟

7

يؤلمني الآخر المخدوش بقلبه،
كنتُ صاعداً نحو الهاوية،
كان يغطيني عراءُ الليالي شارداً مع الغزلان،
حالماً بنبتةٍ تجعل الأيام مزروعة على ضفة الانتظار.

8

نحن طرائد قصة ستروى،
رهائن الأصوات، من يضمّد جراحنا؟
استبدّ بنا القلقُ، نحن الذين قهرنا الوحوش،
تشتّتْنا في الوديان،
لم نستطع أن ننحني على وردةٍ سقطتْ منّا في الطريقِ،
لم نلتقطْ عشبتكَ الطريّة التي هربتْ بها الأفعى،
وتركتـْها على صخرةِ الشيطان،
أهــذه عشــبة أم مطرقــة علــى الــرأس؟ يــدٌ تلــوّحُ لــي
كمجــذافٍ فــي قــاربٍ بعيــد.

9

بالأمسِ كنتَ تطاردُ العنقود،
فـتخطو بقوة اليأس، لتعبرَ الجثثَ في كلّ مكان،
تململَ قلبــُكَ بالنحيب، بعد أن دخلتَ،
أصبحتَ عاجزاً عن تحمّل الغربة الخفيّة،
فناديته: أيها الباب لو كنتُ أعرف انكَ ستنفيني،
لرفعتُ فأسي التي أضعتها، وحطمتكَ،
لصنعتُ منك زورقاً، ورجعتُ أدراجي،

ما الحيلة وأنتَ تزيلُ اسمي، وتسوّره بالمقبرة،
أستشعرُ الصدمةَ التي ضربتْ مزاجي،
أستدرجُ وردةً منسيّة على ضفة المسقى،
بلا كلام أفكّر بالانتظار،
ولا أنتظر أحداً، هممتُ بتقطيع نفسي،
فأوهمتها بأنني أصغي للعبةِ الكلمات،
أنا عفريت نفسي،
عفريتُ لغتي
بها أسمّي الأشياء،
التسميةُ باب الأخطاء،
العواطف أكاذيب تسيلُ مع الأخبار التي وردت:
إن العجلات قد غرقتْ،
والمدينة صفراء من شدّة الكراهية،
تستمر المجزرة في الساحات والجسور،
وهناك فتيان قد اختفوا في سراديب سود،
تشظّيتُ في المنفى، وتركتُ اللصوص والقتلة،
ما معنى
أن تنحني كلّ يوم للأفعى
من أجل عشبة المغزى،

أيِّ مغزى،
ونحن نرى جديلة الطفلة، تنزف دماً فيذريه الهواء،
عرّينا أنفسنا للسيوفِ، وغطسنا في حطام الفضاء،
ما معنى هذه الكمامة على فم الحياة،
جنَّ جنوني، وأنا أرى بيتَ الموت يشيّدهُ هذا الزمان،
لا مكان إلا للهذيان.

10

بالأمسِ استبدتْ برأسي الحمّى، فهذيتُ، هذيتُ، أتأتئ:
بؤس العالم يخذلني، قرأتُ على خوذتي التماعةً حادّةً،
حريتي مسلوبة، أوقعتْ روحي تحت القيود، والسلاسل، والسجون،
وهذا سببه النسيان، نسيان غابتي حوّلني إلى شبحٍ تائهٍ يطوفُ وحده،
فيرمي نفسه في المطحنة، الزمنُ شيخُ المصائب،
وأنا أردّدُ مع نفسي هذه التأتأة:
ما هذه الثرثرة الذهبية؟

كأنَّها كمامة على فم الحياة،
قفّاز نهار أسود، صنارة المعقمات،
سقوف مهددة بالسقوط،
حتى أنني شددتُ تعويذةً على عنقي، قلادةً من عظام الموتى،
أحصي الذين سقطوا،
سال الدمُ فوق رسائل الحبيبات
حيث تومض الشاشات،
مع لمعان رصاص القنّاص،
التأتأةُ برهانٌ لفقدانِ البراءةِ،
البراءةُ المفقودةُ منجنيقٌ للقتل، خزّانٌ للأزمةِ الأبدية.

11

اقرأ، اكتبْ، تألمْ، تعرّفْ، أفهمْ،
استوعبِ الموتَ،
تَحفّزْ لشمعةٍ يشعلُ خيطَها الألمُ،
هنا رعب الامبراطوريات التي دمرتنا،
ضللتنا بالفوضى والإحالات،
الأحلام كلّها لا تساوي شيئاً أمام هاوية الروح،
أمام قطرةِ دمٍ لطفلةٍ سقطتْ في وسط الساحة، أو على الجسر،

أصابعها تحفرُ في جدار المجزرة،
أهذه حياةٌ أم لبلابة تتعلّقُ بالحبال على السطوح؟
تنزلقُ خفيفةً على الصحون مثل رغوة الصابون،
لم يعد من متّسعٍ للتيه والعمى،
أتلمّسُ ما لا يمكن ادراكه، وأراه على جبين الآلهة
التي اشتبكتْ مع بعضها،
واستسلمتْ معصوبة العينين راكعةً للراية السوداء،
لمنطق الحقيقة الواهمة،
عودتنا إلى الغابةِ لا تكتملُ إلّا بقيثارة المعنى،
معنى العشبة؟
أيِّ معنى،
ما معنى أن تنحني كلّ يوم للثعبان،
قل لي لماذا تشتهي التلاشي
من أجل عشبة البؤس واللعنة؟... اللعنة.

12

أيها العارفُ بالطريقِ،
الليل يضيئه الليلُ
هذا هدير جرحي الجديد،

ارعاه عميقاً وأغذيه.
أيها العارفُ
مهّدْ مسالكَ الأيام لأقدامي،
حياتـي ظلامٌ،
قباقيبُ الكهنة تدوسُ بهائي،
يا من رحلتَ معي،
لتبلغَ الشجرةَ، وتأسرُ العفريتَ،
لنرحلَ مرّة أخرى،
دلّني على الباب،
دلّني على باب المغزى.

# رحلةٌ خيالية نحو امرأة في برلين

بهالتكِ التي تحيط سياج الحديقة
ببهائكِ، بحريرك، بزرقة صوتكِ،
برنتكِ وهي تجعل القلب يرتجف بين مفاتيح يديكِ،
يتضح المشهد.
كنت أمشي تحت شجرة التفاح
فتذكرتُ الظلال التي احتمينا خلفها،
ليلتها كانت الخضرة ترفرفُ،
كنتِ تتهادين بثوب أزرق، ووشاح أصفر.

1

في الليلةِ الفائتة
طرتُ إلى مدينةٍ تُدْعى مصابيح الفردوس، طويتُ المسافةَ برفيفِ جناحٍ، وغمضةِ عين، فلّما اقتربتُ من بابِها، رأيتُ معجزةً تمشي على الرصيفِ أمام بوابة براندنبورغ، بوابة الحرب التي راح ضحيتها قرميدنا

الأحمـر، تَحَنّـنَ قلبـي عليهـا، استدرجتُـها، مـن فـرطِ حريتـي ازددتُ قلقـاً، فاخترقـتُ المـكان.

2

ليلتها كانت الخضرة ترفرفُ
كجناحين بين حائطيّ القلب
الوضوح صفحة كتاب غامض
بالكاد أتبيّنُ صوتكِ
صوت الكلمات.

3

مـن معجزاتـي أن أسـخّرَ الريـحَ، لأهـربَ مـن السـفينةِ، متنكـراً لحكايـةِ الطوفـان.

نظـرة واحـدة لكفـّيكِ كافيـة، لأرى كوكبَـكِ وهـو يعـاودُ سـيرَه، بينمـا يمـرّ سـربٌ مـن الطائـرات فـوق مدينتـكِ، ليـدكّ الحدائـقَ، فيتشّـظى الصبيـان.

أتخبطُ بين صور العتمة،

يـزولُ الالتبـاسُ فـي رأسـي، إذ أرى رجلاً يحمـل رأسَ الغـرابِ، كأنـه يُرِيـدُ ان يُخفـي جريمَتـه.

يـزولُ الالتبـاسُ فـي رأسـي، اذ أرى أسـداً يـروغ كالثعلـب
كأنـه يُرِيـدُ ان يفتـكَ بدجـاج قريتنـا.

4

الليلُ معكِ أقلّ ظلاماً
كنت الأكثر انتظارا
حتى نضجتْ خطوتنا معاً
في الطقوسٍ السريّةِ
نحو الطريق الى النجاة.

5

فـي جزيـرة المتاحـف تذكّرنـا حانـةً لامـرأةٍ روّضـتْ وحوشَـها حتـى حوّلـتْ أنيابَـها إلـى نايـات، توقـظُ بهـا الرغبـات فـي الأحلام.

رأيتـكِ تكتبيـنَ رسـائلَ لثـوّارٍ أعرفُهـم، يعرفـون أن لجيوسـيب تارتينـي فـي دمـاءِ أنغامـه هـزة الشـيطان، وكنّـا معـاً نقـرأ فـي مدرسـة الأمـم رسـالةً مـن العاصفـة،

سـمعنا عـن رسـالته الـى مادالينـا لومباردينـي، سـمعنا هلاهـل شـيطانه وهـو يتجلـى فـي السـماء، قرأنـا حيـاة بابلـو

بيكاسو، وتأملنا في جداريته الجورنيكا، تعرفنا على التعبيرات المفزعة والحزينة عن تدمير القنابل للمدينة، تحت برج التلفزيون في ساحة أليكسندربلاتز، في حديقةِ حديقة العلوم النباتية وانحدرنا مع نهرِ شبريه، حينما عرفنا تمثالاً للحبّ تحت برج برلين تعلقنا به، فعرفنا لماذا في مدينتِنا كلّ يومٍ ينفجرُ البركان.

6

ستكونين زورقي
أنا موجتكِ
ومحبرة البرق
هل نكتب الحكاية؟

7

جلسنا في زاويةِ المقهى كنتِ تلوّحين لامرأةٍ، تلوّحُ لكِ من نافذةِ القطار، يبدو انكِ تخططين لسفرٍ طويلٍ في هذا الخريف.

8

رأيــتُ بيــن كفيّــكِ صقــراً تطــاردهُ المصائــدُ، فيعلــو بحـذرٍ، ويحـطُّ فـوق قـوسِ النصـر، قـد يبتعـدُ عطـرُ الزهـرة، لكـنّ لحسـنِ الحـظّ انـتِ محاطـةٌ بـه فـي كلّ مـكان.

9

حكاية العزلة

عزلة الشجرة؟

شجرة التفاح

تفاح الحديقة؟

حديقة البيت، بيتنا.

10

سنمضي في طريقنا

نصعد النهر، ليكتمل مشهدنا.

11

كلّمـا أنظـرُ فـي طريـقِ يديـكِ أتذكّـرُ عيـونَ المهـا وهـي تعبـرُ جسـرَ الرصافـةِ، أرى بالقـربِ منـكِ ذئابـاً تتخفّـى تحـت أَصَـوافِ الحـملان.

إذا انحنيتِ بعنقكِ على الطاولة، يريكِ صاحبُ المعجزة، رهافةَ نظرتِه، وهو يتلصصُ على الضوءِ بين تفاحتيكِ، على الأرجح ستسيرُ ليلتُنا بتنقلات كثيرةٍ بين السواحلِ، والتضاريسِ، يرينه ما لم يحلم به طيلة حياته:

مبنى الرايخشتاغ

قصر شارلوتنبرغ

كنيسة القيصر فيلهلم التذكارية

جادة أونتر دين ليندن

شارع فردريش شتراسه

كأس الغابةِ المقدسة،

سفينة الملكِ القديمة التي هربنا منها وهي تقودُ العالمَ نحو الهاوية.

12

قبل حلولِ الفجر عدتُ من رحلتِي في الليلةِ الفائتة معكِ، كأجملِ معجزةٍ حدثتْ على الرصيفِ أمام بوابة براندنبورغ، يعطّرها رحيقٌ، يحملهُ الهواءُ إِذْ يمرُّ على ينبوعكِ أيتها الحرية.

ليس مصادفة أنه طائر البرق الذي بيننا
وهو قلبي في طيّات وصولي إليك في برلين.
وهـذا مـا كنـتُ أخشـاه مـن القنابـل القادمـة التـي تشـبه سـحابة عيـش الغـراب.

# غلطة الغراب، أو الأيامُ الشاحبة

للأيامِ أبوابٌ تلتهمُ الأشياء،
في صباح الأربعاء،
في أوله، حين هبَّ الهواء
المريضُ الأصفر الغامض نحو البيوت،
نحو غبطة الذاكرةِ وهي تلهو مع أصابع النسيان،
هبَّ الاصفرارُ من حنجرةِ الأيام الشاحبة،
وقد كانت تترصدُ الأصوات،
زنّرتِ الثعالب الماكرة ضفاف النهر
الضفاف منقوعة بالدم،
الأيامُ أنجزتْ كتابَ جريمتها، وأطلقتْ وحشاً ناعماً لا يُرى،
كأنَّ المدينة في يدهِ عنق الرهينة،
يتقدّمُ تارةً، وتارةً يرجعُ الى الوراء،
تحت سيف مدِّها الجارف، امتلأَ العالم بالأسماء المبهمة، هناك يصطبغُ النهارُ بالأشباح،
هناك من يرسم لنفسه كوكباً، وعلى كتفه الثعبان،

هناك الفحيح مخلوطاً بعسل المصير.
مدينةٌ أبوابُها المتاهة، والهاوية، ورعشة الفقدان،
حياتُها تجري بموتاها،
دكاكين الذكريات،
ومنازل الأخطاء.

1

لصمتي صوتٌ غامضٌ،
يا للدهشةِ الخرساء،
يعطسُ مهندسُ الجروح،
فتتكسّر الروحُ جرحاً، جرحاً،
وينحني الفضاء،
يتطايرُ الرذاذُ، ليحطَّ الغراب بخفّةٍ،
يحطُّ على كل شيءٍ،
يهجسُ بموت الآخرين،
موت قبل أجله، كموعد مع مرارة العيش.
في عش الغراب،
الغرابُ قنبلةٌ نوويةٌ،
تلعبُ بها الأرجلُ والأيدي،

هواءٌ فاسدٌ، هوسٌ، اختفتْ معه الأشياء،
الخيط والشمعة، الزيتُ والشعلة،
الخيول والقردة،
اختفى كلُّ شيء تحت اشتباك الحواس الواهمة والسحاب.

2

في المساء
في أوله،
انتابهُ الذهول،
كأنه يمتصُّ من ثديّ الليالي حليبَ الأرق،
بدأ يحاورُ نفسَه، ارتدَّ وعيُّه إلى اللحظة،
يدققُ في طريقِ الوقت، في بوصلةِ القصد،
يملأُ فمَه بسرابِ التأويل، ثم يعودُ الى
معاشرةِ الغفلة، لا يتعمدُ المرآة، يتحاشاها،
لكنه يفعلُها دوماً، ويدهنُ كلماته باللهب.

3

ما أحبُّه يتوارى، قبل أن ألتفتَ إليه،
امددْ يمينكَ، دعني أرى كفيّكَ،
دعني أرى اسمكَ محفوراً على تمثالِ العدم،
هل كنتَ معي، أم على جذع الشجرة؟
ما أفتشُّ عنه لا أراه،
أتخذُ الطريقَ التي لم تصل اليه،
تهربُ اقدامي خارج المعنى،
نهارُ المتاهةِ يجعلُ من نفسي جمرةً،
أشكُّ أنها هي الباب،
أظهرُ وأختفي،
لم أعد إلى المقهى،
وأنا أعلو في أعماق الوباء،
أيـّامي تصفرُ على الأشجارِ في الحديقة العارية،
أجنحة الغراب تجرحُ الهواء.

4

لم تزل الأفعى تخطفُ الثمرة،
الخفافيشُ رياحُ الكاهن المجذوم.
بين يديكَ جمرة الوميض،
جمرة بين الشفتين،
احترزْ، اغمضِ العينَ عن السبب،
أنتَ تحاولُ أن تُلبسَ يومكَ ضجةَ الخوف،
في كأسكَ عطش الشكِّ، ترى حدود الانسياب،
خلف نظارات التقصي،
لا أدري كم ينبئكَ صدى التحري
عن رطوبةِ الأحداث.
لِمَ هذا الارتياب،
وانتَ تداومُ الاغفاءةَ على كرسي الحياة؟
أيامي التي سميّتُها مروّضتي،
تمسكُ طرفَ الخيطِ المشدود بوجع العالم،
بطريق المشهد الذي أصابني بالجنون.
أنا مفتاحُكِ،
كوني معي، كم من الحوادث فيكِ
ألهمتني الكلمات والأرق،

كم هدرتِ من البريقِ في طيّات سريري،
سهرتُ معكِ عبثاً منحنياً على الورق،
خرجتُ من الغسق،
صرتِ لي سفينةً،
شممتُ دخان فكرتِكِ،
أبحرتُ بين خطوط كفيّكِ،
قرأتُكِ طيّةً، طيّةً، اصبحتُ بحّاركِ، عرّاف الوحوش التي احتلتْ حياتي كعاصفة.

5

أنت نصفي الناضج، اختلفنا في كلّ شيء،
في الوضوح والغموض،
في الظهور والغياب، في الهمة والسكينة
حينما تكونين واضحة،
يلمعُ في عينكِ بريقُ الالتباس،
بغمزتها، ورفتها، وإغماضها.
حينما تظهرين، أغيبُ،
بكِ أنفي نفسي.

جعلتِ لي اجنحة تفرُّ،
فرّتْ روحُنا، بعيداً عن تربةِ الاهداف،
نحن الآن في البيت،
ندوّرُ الوقتَ في استكانةِ الشاي،
نرتشفُ سخونةَ اللقاء.

6

أظنكَ لا تستكين،
ستخترقُ دخانَ الحوار مع الكراسي الشاغرة،
تحرقُ عيدانَ الدقائق،
كي تُنضجَ فطائرَ الصرخة،
تحاصرُكَ ساعةُ الأنباء
كي تهشمَ صنمَ الانتظار،
أو تغرز في صدرِ العادة شظايا الألم،
كما ترى،
أحملُ في يدي خمسةَ مفاتيح
لأبوابِ الرمال
وكتاباً سميناً من الشكوك،
أقفلْ شبّاكَ الأجوبة،

احترزْ عن الذلِّ،
انزلقْ على لسانِ الإرث،
من نُطلي شفاهه بالسؤال؟
ونفرّغُ شكوكَنا في جيوبه
سوف يُصبحُ ثرياً بالحيرة، وفقيراً بالحيلة.

7

شربنا من كأسٍ واحدة،
فلماذا صحوتُ أنا، وبقيت انتَ سكران؟
يزدحمُ البيتُ بنا،
لم تعدْ هناك مساحةٌ واسعةٌ للتفكير،
طردتنا الحيرةُ تحت رداءِ الليل،
أمسكتنا قبضةُ التأمل،
تركنا الصفنات تتكاثرُ،
فتتعالى طبولُ التماسيح،
ضجرنا من الإقامة،
بدأنا رحلةً في الطيرانِ،
هذه سفرةٌ قصيرة،
أذابتنا قوةُ الصمت،

وعربدةٌ باتجاه الاقتناع،
قوةٌ لكشفِ هذا الوباء،
قراءةٌ لإثبات الجوهر فيه،
ذوبان في العزلةِ
التي تكرّرُ انفرادنا مع بعضنا،
تتجلّى فيها أبهى الصور:
يحلّقُ صقرٌ من شدّةِ الهيام،
لم يجدْ في تحليقهِ العميقِ صيداً،
فغنّى جمرةَ الكتاب،
طالع لهيبها ورمادها،
وحدهُ الهيامُ يـُلهمنا الحيرةَ
وأبداعَ هديلِه الخاص،
هذا هو البلوغ.
لِمَ لم نكن ندرك بلوغ الهاوية.
تنفجرُ سحابة عيش الغراب
عدم وصمت،
هذا ما يجعلُ الحزنَ ظلاماً، خراباً
فوق هذه الأرض.

8

تهبطُ في بئري
ليشهقَ نحوكَ يأسُ المفتاح
في قفل الشجاعة،
للتمويه على خساراتنا،
نثرثرُ عن كنز القناعة،
يثرثرُ الموتُ على منصّةٍ سيئة الصيتِ،
أهربُ منها لأضيء أبعد،
لتخفيفِ الموجة السوداء،
أكتبُــني لأقاومَ اللاجدوى والعبث،
استعرضُ موتي الطاعن في السنِّ.
هذه غلطةُ الغراب
وقد تسترَ على الفضيحة.

9

ما هذا الرعب في الأنباء؟
ماذا سنُرضي؟
سنعيدُ ما جسّدتُه
المخطوطةُ القديمةُ في يومٍ جديد،

يتقلصُ ظلّنا، نرفضُ الافتراق،
نطلبُ بهاءَ الكلمات وبرقها
فيتغيّرُ شكلُنا في المرآة،
لشيءٍ آخرَ، لم يكنْ في الحسبان،
أصبح يومنا تذكاراً،
لأن علينا أن نبقى مع الأحياء،
وليعلـمَ الناسُ، إننا نحاربُ طواحين الهواء،
نمسكُ عروةَ الزمن، نتبصّرُ في شأنِ الموتى،
لم نفترقْ عنّا إلّا في النوم،
علينا أن نجدَ ما يـُرضي الحياة،
نبني لها منصةً، ننحتُ صنمَ الأمراض،
لنمثـّلَ دورَنا بنهمٍ وبطءٍ وتأمل،
نتمتمُ بتعويذةٍ في آذان المرضى،
هي أرقّ ما يصدحُ به خائفٌ،
نعيدُ ما كنّا قد أصغينا له،
وما كنـّا نودُّ أن نسمعَ:
ربما دولتنا التعيسة
ستُصححُ الغلطة
بطريقةٍ ما،

أو بغمضةِ عين، بالأقوالِ المنحطة
المأثورة لسلاطينها،
من القتلِ، والتزييف، والأخطاء،
ألسنةٌ ملساء
تجعل الأشياء
المعطوبة أكثر إنسانية،
وهذا ما يودُّ أن يسمعهُ الجمهورُ،
وهو يُصغي لصفيرٍ يُعبّر عن فكرةِ شخصٍ
بدأ يحاورُ نفسه، فصار إثنين،
شظيّةٌ تجرحُ أحدَنا،
ليفيضَ دمُنا في الغابةِ بين السّنةِ ومدينتها.

10

أنتَ من تنكّرتَ للإشارة،
لطيّاتِ الخرابِ وظلامه،
أو ربما أردتَ أن تنقذني
من المصير نفسه،
حيث صفـّر شريانـُكَ لحناً عذباً،
نفختَ لهباً يمرّ عبر الضحايا،

بومةُ الليل ترفعُ انفرادنا نحو الهاويةِ،
صوتُكَ يتهادى تاركاً وصيتنا،
تتجسّدُ بفناء القناعة،
وأن نكونَ كاملين، أمام وردتنا الذابلة،
هذه سنتنا الشاحبة،
لنفتحَ باب الهبوط نحو الأبد،
نغطسُ في الأعماق،
أو في عمق الزمن،
اغطسْ عميقاً،
أمامكَ كلّ النوافذ،
اختفِ في ثقب الطفولة،
في ثقب الدموع أو الضحك،
أمامك كل هذا السقوط،
اسقطْ على رأسك في الهاويةِ،
أو في قمة الصمت،
اسقطْ في اللّجة العميقة،
مثل قارب يغرق، ولينطفئ السراج.

11

على حبلِ حياتي نشرتُ الليالي،
فلم أجد الليلة التي غبتُ فيها،
أجفّفُ آلامي المتهادية، ألماً، ألماً،
وأتدحرجُ نحو شعلتي،
من قمةِ اليأس الى غابة الوحش،
لأصل إلى زيتونةٍ وحيدةٍ في العراء،
تجعلُني أنسى الندم
الذي فاضَ على السرير،
بعد أن وصلنا إلى ذروةِ السمّوم.
طافَتْ بيّ الوحوشُ، وأنا على موجتها،
دفعتني إلى ساحلِ المدينة،
وهي على وشك الظلام،
فتركت أيامي مغموسة في بئر الخطأ.

12

هذه الغلطةُ الشاحبة تُعدُّ مصيرَ اللهب،
تجعلُ شخصيةَ الأيام بلا نصب تذكاري،
بل بمخطوطةٍ قديمةٍ لشيخٍ أعمى، عاشق،

وممتلئ بكلّ قوةٍ، غمرهُ الحكماءُ بالمعنى،
وثابروا لنستذكرَهُ في حياةٍ أخرى، مختصرةٍ،
متلاشيةٍ، لنتأملَ أصابعَه التي تُشبه أصابعَ الغيب،
وهو يرمي الجمرات نحونا، جمرات الموت في الرياح.
صار طرفٌ منّا في الهواء،
والآخر في الظلام، ولم يزلْ يومنا واحداً،
والنهايةُ هي البدايةُ، حتى انتشرَ الوباء
في المياهِ، عميت عيون الأيام، فطارَ واحدٌ منّا،
لا عين له ولا أثر.
وبقيتُ في البيتِ أحاورُ نفسي،
ومعي وحشتي.

# في الغابة السوداء بين طفلين وامرأة

قبل هبوب السحابة السوداء، بالقرب منها،
في هذا الصباح تركتُ الطفلين نائمين،
يرتطمُ صوتي بجدار الظلام،
يلزمني اسمكِ كي أتنفس ايتها المرأة.

1

انصرفتُ أنظرُ من النافذة لسحابةٍ مرّت تشبه رأس الغراب الذي يعلّمنا كيف ندفن موتانا ونخفي الجريمة.

نظرتُ إليها كأنها تفاحة اختلط فوقها الضوء والظل والغبار، والغيم، حدّقتُ في لوحة تحكي قصةً عن حفيد لهولاكو.

رأيت الانتظار
ما عاد يفصل بين الأشجار،
والكونكريت، والبنايات والخنازير.

2

اختلطت كلها تحت سحابة القنبلة.

اختلـط كلّ شـيء، الأسـماء والدمـاء والأيـدي والعيـون والأحجـار.

3

تركوا جثثهم في نعش حياتي ومضوا،
صرتُ أطاردُ أصواتهم المختفية بين سحابةٍ وأخرى.

4

ركـزّتُ بانتبـاه نحـو الطفليـن، نومهمـا معـاً يوحـي لـي بحـوار حـول كتـاب عـن بنـاء الأعشـاش،
عن جرحٍ آخر يلهيني عنهما،
تؤلمني مخيلتي تمسكني وتدوّي في أعماقي.

5

تذكـرتُ امـرأة تجلـس علـى مقعـد خشـبي، إلـى جوارهـا كتـب، خلفهـا اللوحـة التـي رأيـت قبـل قليـل، ظننـتُ لأوّل وهلـة انهـا صـورة فوتوغرافيـة ترسّـبتْ فـي جمرتـي العميقـة.

6

بصيرتي تصوّبُ سهامَ عينيّ نحو صورة لوركا القتيل فوق دائرة هي خبز الغراب على الجدار.

7

نظرتُ للنائمة بين الطفلين مرة أخرى، لم تكن من قبل جالسة في شرفة منزلها المطلّ على رحلة بين الغبار والغيم، تحدّق بانتظارٍ لحذاءين في الحديقة، فتراهما غرابين ميتين بين كومة القشّ والمناجل اللامعة.

8

المشهد هادئ، يخلو من التوتّر.

9

الموسيقى لعازف عاش في سجن الغابة السوداء على طرف البركان، مع الوحوش والجنّ ومغول المعبد، المعبد بأقواسه، ديكوره، قبابه، النوافذ، الوهج الخافت لمصابيح الزيت، هناك اخترقتْ قلبي الصرخةُ،

الصرخةُ عفريتُ اللغةِ،

بريقُها لمعانٌ لجدران تعكسُ أشعّة الشمس.

10

مـــاذا أقـــول لموجـــة الصـــراخ، وهـــي تكســـر هـــدوء الاصغـــاء؟

فـراغ محيّـر، خراب يسـيل فـي أعماقـي، هكذا كان يسـكن فـي الغابـة السـوداء، هـذا الغـراب الـذي يضـع نظرتـه مثـل قطـرة زيْبَـقٍ علـى ريـش جناحـه، فتمطـر الغيـوم فـوق طيرانـه سـخام الأسـئلة: مطـر أسـود، غبـار أسـود، ريـش أسـود.

11

أيـةُ معجـزة سـتطير بـي لحيـاة أخـرى فـي هـذا الصبـاح، صبـاح اللوحـة والطفليـن والمـرأة النائمـة؟

حياتنا جرحٌ يتنفسُ عدماً،

أنا الوحيد، يجمعني بكم اليأس.

12

بلغة أخرى من كان يصرخ ضدّ سواد هذا العالم؟

من يعرف كبش التضحية في بيوت طوى سجلها النسيان ؟

إشارة المشاعل تمثل من؟

عــن إي شــيء نفتــش فــي طــرف البــركان الــذي فجرّتــه الوحــوشُ والجــنّ؟

عن أي سماء قديمة تسأل؟

هل وراء الأبواب سحابةٌ أخرى؟

هــل جننــتَ بضــوء التفاحــة فــي بيــت تســكنهُ الغيــومُ والغبــارُ وامــرأةٌ رشــيقة وطــفلان؟

هــل جننــتُ بأســرار الرســائل الحزينــة وهــي تنــام بيــن الطيّـات؟

لماذا كلّما أقول كيف، أصرف نظري عنها، وأرجع الى لماذا؟

لماذا كلّ هذا الصراخ؟

لماذا كل هذا الديناميت؟

لماذا؟

# لعبة الليل أو شعلته

موجةٌ للهروب، وموجةٌ للعودةِ من الهرب، تراهما المرآةُ، وجهين في بئر الزمن، في لحظةٍ ما، ربما ينقلبان على بعضهما، وعلى زورق يتهادى فوق بريق النهر.

حينما أخبركِ عن آلامي، أرى اجنحةً ترفُّ حول كتفيكِ،

أرى نجمتي تنطبع على صوتكِ،

أرى الهيامَ الجامح للينبوع وهو يفيض.

1

منذ شجرة الأخطاء،

أحاول أن أمسكَ الثمرة لكي أراك، أنا خداعُكِ،

أخدعُكِ كلّ ليلٍ لأعبر نحو كوكبكِ،

لمساتي تهذي فوق القميص،

كلّما أحاولُ أن أعرّفكِ يضيعُ لساني في الطريق اليكِ،

كلّما أحاولُ الهروب منكِ أجدكِ في مرآتي، تنظرين لمتاهتي، وتغرقين في هذا الجحيم الذي تنتحرُ فيه الأسماء.

2

نلعبُ في المأساةِ واللهو، نلعبُ مع الليل أو مع شعلته،
بوميضِ روحكِ أبصرني، إسمي حقيقتي المشكوك فيها،
أطلقُ عصافيرَ أكاذيبي خلف شفتيكِ
وأهربُ من السطوح التي تخنق صوتي،
لن أتكلم لكِ عن الحب
في طبيعته ألم خاص
إن ما أراه، لم ألمسه.

3

رسالتكِ الممهورة ببصمة النجاة
لها أجراسٌ مضاءة بمفتاح اللهب،
قصيدتي يا ناي حياتي،
الكتبُ المكنوزةُ أطلقُ عليها اسمكِ
مثل موسيقى ترفّ فوق التدفّق.
جرفتني السواحلُ
الغبطةُ سقتني نارَ عينيك،
في أعالي موجتي
هزّني مدُّكِ

فعلوتُ
ألتفّ حولكِ أحلُّق عالياً.

4

الأوهامُ مأدبتي، تعلّمتُ منكِ أن الكلماتَ
تراني مذبوحاً على الورق.
انحدرنا نحو تفاحة خيالكِ،
مررنا بأشجار التين على الضفتين،
انعطفنا نحو الساحل،
هنا صفصافةٌ تنحني فوقنا،
جسدان يغرقان في بلورات الرمال،
تدفعنا الرياحُ لنتهادى،
ونحن نلتهبُ فوق الحبر يتلوى تحتنا،
نتقدّم، نجري، يجري معنا
لهبُ الجنون بلون الذهب،
وقد تجلّت الذروة الناصعة.

5

انهض أيها النهار، في نرجسة النبع،
لأتذوّق ملح كأسها، روحها، شعرها،
نظراتها، شفتيها، أصابعها، شعلتها،
انهض أيها النهار لأغلقَ فمي على كلماتها.
أنا قوسٌ مشدودٌ نحو شعرها المجنون،
أنا زيتُها والشعلة،
دعيني التبسُ في بسالتكِ، في غموضكِ.
للرسالةِ أجراسٌ مضاءة بمفتاح اللهب.
قصيدتي يا ناي حياتي.

6

يا فصّ الحكاية، يا حليب الكلمات،
وهو يسيلُ فوق ورقي، تحمّرُ اللحظات بيننا،
يلتمع القرطُ المتدلي فوق عنقكِ،
أصغي لهذه الموسيقى، أصغي لهذه الغبطة،
لهذا الكون الذي يخلق نفسه في ليلِ العاصفة،
أطوارك تتجرّدُ من الزمن، أسراب الفراشات على نهديكِ،
جمراتكِ في ذروة القطاف، كلماتٌ شهية،

تجرُّنا أعماق النهر، تجرُّ زورقنا،
لنتدحرج كموجة واحدة، نحن الموجتين،
اتحدنا، التبسنا،
بيدي مشعل لبريق رموزكِ،
مجازكِ يعطّرُ حياتي برحيق الشغف،
سريرنا النهر، ونومنا يغطُّ بين ماء وماء، بين كلمة وأخرى،
أيتها الرشيقة الناصعة، مرّري صوتكِ بين أغصان روحي،
كموجتين، موجةٌ للهروب، وموجةٌ للعودةِ من الهرب.
للرسالةِ أجراسٌ مضاءة بمفتاح اللهب.

7

أيتها الناصعة، أيتها المتموّجة فوق الغمام،
تنهارُ امام كلماتكِ الأسوارُ القديمة،
أنتِ أعلى من الأمواج،
يرتجفُ المكانُ تحتنا،
يضطربُ الزورق، اغتبطُ غريقاً في اعماقكِ،
اغتبطُ بكِ، يغتبط قلبي العاشقُ السكران،
نشوتنا خضراء،

وأغنيتنا الحمراء،
هي كنزٌ لرسالة فارغة.
برقنا يبلّلُ الغيمة بالغواية،
فنمطرُ ونرفعُ الشراع نحو الخيال،
نحو ينبوع الفجر وخيوله الشاهقة.
حينما كنّا وحدنا في البيت،
وحدنا مع هذا الجنون، نلخبطُ الأوراق،
نفتحُ نافذةً، ونغلقُ الباب،
وحدنا نكرّر غفلتنا عن حياةٍ أخرى
في مدينةٍ بعيدةٍ، نحتاجُ اجنحةً لنصلَ اليها،
نكرّرُ الأخطاء نفسها،
أنظرُ بعينيكِ للأيام وهي تمرّ مرّ السحاب،
نجرجرُ الزمن، ونلوذ بالفرار اليه،
نرتمي على سريرنا صارخين،
لم نزل على قيد الحياة،
نكتبُ معرفتنا،
معرفتنا التي لم تكتمل لولا اتحاد الموجتين،
موجة للهروب، وموجة للعودة من الهرب.

8

تسيلُ كلماتنا فوق عريٍّ الحقيقة، تمّحي الاشارات،
كنّا معاً نردّدُ: كيف لنا أن ننام تحت سماء واحدة
مع قطيعٍ من القانطين، نحن حريتنا،
نحن متحدان بأجنحة واحدة،
نحن موجتان في زورق واحد،
علّمنا النائمات والنائمين على الإبحار والطيران.

9

كنّا نصعد من أعماق النهر حتى نصطدم بضفاف صوتينا،
علينا أن نبقى راسخين، علينا أن نحبس أنفاسنا،
حينما نصغي لأجنحة، أدمنت الطيران فوق حياة هذا النهر.

10

كنّا وحدنا،
كنّا منارة على ساحل استبدّ به الهيام على ضفةِ النهار،
كنّا نلعبُ،

كنّا نلعبُ مع الأشياء،
لعبنا مع بريقنا،
بريق موجتينا،
لعبنا مع السفينةِ،
لعبنا مع الحبال التي تجرّها،
لعبنا،
يا قصيدتي لعبنا،
حتى دخلنا كهفاً بلا أفقٍ.
اقرئي، اقرئي، الهواء، الشجر،
الحجر، والنبع، ستدومُ أيامكِ طويلاً،
أيتها الصعبة، الناصعة، الطيّعة،
بقوّتكِ التي هي عدم الاكتراث لجبروتي،
ونكراني، وجحودي.

11

كلّ ليل تكبرين فيّ،
كل لحظةٍ أنمو فيكِ،
يا لهذا الحنين للتفوق،
للبقاء في ينبوعكِ

يا عودة الأنهار، الى الوراء
يا عودة النهار
يا لهب الليل أو شعلته،
نحن موجتان في زورق واحد،
موجة للهروب، وموجة للعودة من الهرب.

12

جمالُكِ مخلوقٌ من قلب الطبيعة
لينبعَ غرامُه في قلبي،
ينبعُ في الفراشة،
في الرمل وفي الحصى،
في الغيمة وفي الشجرة، في الغابة وفي الصحراء،
أيتها الخارجة من لساني اغمريني بشعاعكِ.
لولاكِ، لنسيت الأمطارَ، والرياحَ،
ورجعتُ اندمجُ بصخرة،
ربّما توحشّتُ، وقدّتُ قطيعاً من الذئاب،
أطاردُ النعاجَ، لولاكِ لاتحدتُ بالطبيعة،
وبقيتُ أعمى، لم أرَ وجهي في المرآة،
ذئباً ينفرد بالقاصية،

أيتها الناصعة، بكِ أواسي قلقي،
أنسّقُ نهار الليالي، قصةً، قصةً، حتى تستمرُّ حكايتنا.
معكِ أستشعرُ الهزّات قبل حدوثها بسنوات،
تهزّنا البراكينُ قبل وقوعها،
نسيرُ على حافة الخطر،
ندفعُ الغرقى الى الأعماق،
نقيمُ في الحريق، في العواصف،
في الإعصار، في الموجة الهائجة،
ونطلُّ على العالم،
بأغنيةِ العزلةِ
نشيّدُ وحدتنا تحت مصابيح أعمدة الشوارع،
رحلاتنا كثيرةٌ،
ومراكبنا راسيةٌ على الصحراء،
نقيسُ حياتَنا بكؤوس اللوعةِ والألم،
أعماقُنا ملأى بالجمرات، وبتحولات لم ندركها.
أيتها القصيدة نحن موجتان،
موجةٌ للهروب، وموجة للعودة من الهرب.
قبل أن أمسكَ صوتكِ،
كنتِ في رأسي تفرّين منه وأليه،

كنتِ في غابتي الغامضة،
تطيرين من شجرة الى أخرى،
تحطّين على لساني، تختفين،
تعودين، لتلعبي مع زرقتي،
مع زرقة السماء،
مع زرقة النهر،
ترفعين شعلةً في العاصفة تدورين معها،
تصعدين بها الى الذروة،
أطاردكِ كلّ ليلٍ في رحلتي الخيالية أيتها القصيدة،
فتفجّرين بركاني على الورق،
في ألمٍ لحبٍّ واحدٍ
أدفعُ الرملَ عن عريّكِ
وأقتربُ من شاطئك ليلاً
موجةٌ للتدفّق
وموجةٌ للغرق.

# أصواتٌ مملوءة بالندم،
# أو الحلم الذي قرأتُهُ.

1- الحلم

أستقيظُ غارقاً في موجة حياتي، مبللاً بالندم.

اللوحُ الذي أنقذني

من بقايا سفينةٍ غرقتْ في عالمٍ

خاطتهُ بسواد أنيابها الوحوش.

عثرتُ على حالمينِ قبلي على الساحل.

كنّا نصغي، ولم نفهم الأصوات التي تحفرُها الحياة فوق صخور الزمن.

2- القراءة

على الساحلِ في صباحِ هذا الظلام، في ظلامِ نهارٍ طويل، صادفتهما، كانا يراقبان الأفق، يثبّتان أنظارهما نحو نجوم الظهيرة، يحلمان من وراء نظّارتيهما السوداوين، كانا ساكتين كأنهما يصغيان لصوتِ كمانٍ

خفـيّ، أحدهمـا يرسـمُ علامـات تتمـوّج فـي الهـواء تحـت أصابعـهِ الرقيقـةِ، ويهمـس: الـظلام هنـدسٌ فـي هـذا الطوفـان الـذي يحيـط بنـا، سـمعنا قلـوب الحيوانـات فـي السـفينة تتجلـى أمـام مصيرهـا، وتسـأَلُ أنفسَـها هـل نحـن سـاعات معلقـة علـى جـدار الحيـاة،

أم أعمدة للضوء معطلة منذ سنوات؟

هنـاك فـي البعيـد مـن الأفـق، كان مـن يثرثـرُ مـع نفسـه: بقيـتُ أراقـبُ السـماء فـي هـذه المدينـة التـي أقـفُ فـي منتصـفِ جحيمهـا، حقيبتـي مليئـة بالنـدم، نـدم الأمطـار وهـي تصـل الـى الأرض.

الآخر يتأملُ ما مرّ ذكره. ليهمس:

هنـا علـى السـاحلِ حشيشـةُ الـملاكِ يـرفُّ رمشُـها علـى المـاء، فتضـيء طريقـي، كنـت أصغـي لأصـوات لـم تسـمعها الحشـودُ، أصـوات الملائكـة، أصـوات مملـوءة بالنـدم، أصـوات تقتـربُ مـن الأبـواب، وهـي تعبـر التخـوم، تصغـي لأرواح فـي مدينـة تتناهشـها الحيـرة والخـوف والنـدم.

وقفـتُ علـى هـذا السـاحل أضبـطُ حركـة النجـوم الناعمـة التـي تطـوف فـي رأسـيهما، قبـل أن يذبـح الخفّـاشُ وميضَهـا بعـد المغيـب، أحصـي الليالـي السـود

التــي مــرّت علــى النــاس.

أحدهم أوهمني قال: إنّ الانتظارَ خلاصٌ.

انتظـرتُ السـفينة قبـل أن ينتحـرَ ربّانهـا، انتظـرتُ الرسـائل تطفـو علـى أمـواج دجلـة، وتنتقـلُ مـن منتظـرٍ إلـى آخـر.

يقفون كأعمدة الكهرباء

التي لم تصل إليها الأضواء.

كانـا يراقبـان السـماء ويحلمـان بانتظـار الصيّاديـن الذيـن تاهـوا قبـل وصولهمـا الـى السـاحل،

وقد كنتُ ثالثهم حينما تمّ طردنا من السفينة،

لنغرق في متاهة هذه المدينة.

# فراشات على كراسي متحركة

بمـرأى ومسـمعٍ منّـي هـذه الأيـام، تتلـوى أفعـى ماكـرة، تفـحُّ السـمومَ، فتضطـربُ الأمكنـةُ، ويرتجـفُ البـركان. جرحـي لـه عينـان كجمرتيـن، مصباحيـن للطريـق، شـعاعٌ للمـرارة، رسـائلي تأكلُهـا النيـران. فـي كلِّ جـرحٍ لهـبٌ لإنقـاذ الغرقـى، أحلامـي تغـرقُ فـي الضبـاب، مجروحـةً بزلـة اللسـان.

1

رأيتهـم يرجعـون الـى السـاحة مـراراً، كـي يكتملـوا بجـروح أخـرى، تنتفـضُ المدينـةُ، تكتـظُ جدرانُهـا بـدم اللافتـات، يخنقُهـا الضجيـجُ، تهـدمُ بيوتَهـا الفوضـى، يحاصرهـا القنّاصـون مـن كلّ صوب، وقـد مَـلؤُوا الطرقات، فـي الأزقـة، علـى الجسـور والمفترقـات.

2

أبهى ما يكون أن تموت برصاصةٍ بين الحاجبين، حينها ترتفعُ شاهقاً فوق حرير الحنين، أبهى من الموتِ بلدغة أفعى، بالجنون، بالسكتة الدماغية، بفقر الدم، بالسُّل، بالسرطان المتفشي سراً بين الشيوخ والصبيان.

3

فإن لم تمتْ بطلقة واحدةٍ ستعضُّ على أصابعِ الندم، حينَ تلفظُ النفسَ الأخير.

أنتَ اللهبُ الذي علّقهُ الأسى على المشعلِ،

أنتَ النايُ بأنينه يلعبُ المصير،

رشيقُ الصوت، شديدُ الحزنِ والصدى،

أنتَ السهمُ الذي يسددهُ قوسُ الأمل،

يستلُّ الشيءَ من الشيء،

يطهّر الجسر بماء روحه،

ويصطفيه لجلسةِ البرق النافذ،

أنتَ الصقرُ، بين جناحيكَ صورة للمدينة،

أنتَ الأعماق، هامةُ الشجرة، قمةُ الزقورة، رأس الهرم، كلّ ما لهُ نهرٌ وملاك.

4

بمرأى ومسمعٍ منّي
في هذه الأيام تهبّ السمومُ، ترتجفُ الأمكنةُ،
ينفجرُ البركان، فنسقطُ في الهاوية.
بمرأى ومسمع منّي
أصابَ رأسَكَ نيزكٌ، فاختلطتْ والتبستْ صرختكَ بالدم.
انهمر صوتُكَ مع الدموع.
انتفضَ مضرّجاً، شاهقاً للسماء حتى أصبح نجماً أحمر، طوفي هنا، طوفي أيتها النجومُ، نجومُنا، أيتها الأرواح.

5

انفجرتْ زجاجةُ أيامِنا المخصّبة بالديناميت.
تنفث الخياشيمُ النارَ على الطرقات، نحو الجسور، نحو القصور، نحو المجارير، ففرّتِ الجرذان.

6

كلُّ شيءٍ هنا، يطيرُ نحو اشتعاله، فراشات على كراسي متحركة، أوتارُ القيثارة، الذكرياتُ، القشُّ المتروكُ في الزوايا، وصايا المصباح المهشّم، رجفةُ الطفل، حمامةٌ في جدارية الطيران.

7

كفُّك في كفّي، ابقَ معي، اركضْ هذا مغتسلٌ بارد، اركضْ، أقدامُكَ أقدامي، ابتسمْ، رفرفْ كفراشةٍ، فمُكَ فمي، ابتسمْ حتى تموت محترقاً بنارِ الحرية، ببرد النار، أختفِ في أعماقِ الغمامةِ التي تمطرُ دماً، حينها يرتطمُ صوتُنا بجدارِ الظلام، فيرجعُ إلينا الصدى، وهو ينبضُ صرخةً، صرخةً، صوتُنا نهرُ الصرخات، موقدُ الجمرات، جرحاً يتنفسُه الدخان. أشجار لا يأخذها نعاسٌ ولا نوم، لها الينابيع، لها أنضج الأثمار ما اعتلى منها، وما انخفض. لها ما انبسط، وما تعرّج. هناك ثعالب على الضفاف. أرانب مذعورة في الأوكار. ذئاب تعوي تحت القمر.

8

في المنعطف فراشةٌ على كرسيّ متحرك
في المنعطف الذي تليه الرياحُ،
ارتدي سترتَكَ الواقية،
على جانبيكَ قممٌ، اسلكها، كن أقرب إلى الدخان، علّم الواقفينَ الطيرانَ، وأن يتذوّقوا جمرةَ الأهداف، امسكِ المصباح.

9

رفرفْ معها، نصف فراشة بجناحٍ واحدٍ،
لكلِّ صوتٍ قنديله، استبقِ اللمعان، جابه الشيطان بصمتٍ وبعيون تحمّرُ من توهجِها الغازات.
لا تمكث طويلاً في مكانٍ واحدٍ، كما تمكث الأسود.
لا تأكل من أواني متفرقة، ستفيضُ دموعُ أمكَ غزيرةً كنهر الفرات.

10

أنــتَ بحاجــة لغابــةٍ، تتقــدمُ نحوهــا، تغطيــكَ بســحر الغمــوضِ وبريــقُ البهــاء.

بمرأى ومسمعٍ منّي هذه الأيام،

تهبّ السمومُ، ترتجفُ الأمكنةُ، ويضطربُ البركان.

بمرأى ومسمع منّي

انتفــضَ مضرجــاً، شــاهقاً للســماء حتــى أصبــح نجمــاً أحمــر، الحيــاةُ تتعــرقُ خــجلاً، عمــرُكَ مــاءُ الجــرّة المنكســرة. لا محــو للذاكــرة، البــابُ بابــكَ والمدينــة مــأواك. اعطنــي نافــذةً، اعطنــي العاصفــة، هــذا الخــراب ســطو الأمــراض علــى العافيــة، نهــارُكَ شــديد الاحمــرار، حيطانــه منخوبــة بزخــاتِ الرصــاص.

حقيقتنا أفعى ماكرة،

نحنُ على ما يرام، كما يتهيأ لي وأتخيّلُ.

11

يتدفق الينبوع، فنعرفُ الاسرار

القتلُ عادتُنا القديمة،

الإنسانُ بشيطانهِ يربّي الجنونَ، يحملُ على أكتافِه صخرةَ الضمير، حيرةَ البؤس وبحيرةَ اليأس.

لم يستطعِ الصمتَ، ولم يقدر على الانتظار، ملأ جيوبه بالأخطاء كي تطوف بها الرياحُ من نهر الفرات في الناصرية، إلى باب المدينة الأول.

قال شابٌ للملكِ الذي استباح العذارى،

اقتلِ الثور السماوي، اقتله، اقتله في غابة الأرز، واغسلْ قلبك من عتمة الليل.

غسل الملك يديه في صحن الطعام.

وقال: لست أنا القاتل.

عند الظهيرة على الشاطئ قال كاهن المدينة للقنّاص اقتلْ نديمكَ في الساحة، واغسلْ عقلكَ من الرأفة، اقتله في المنعطف، واجعلْ من دمه عطراً، رشَّ هذا العطرَ في الهواء، كي نستنشقَه جميعاً.

غسلَ القنّاص عقله

وقال: لست أنا القاتل.

إنهـا القلـوب التـي يسـري فـي عروقهـا السّـم، سـمُّ القتل، إنهـا العقـول، التـي اسـتوطنها هـذا النسـغُ، وقـد جـرى فـي روح البـرق، ودبَّ فـي الحيـاة.

12

حقيقتنا الماكرة،

جرحُنا الأول

مـا زال عنيـداً حتـى هـذه اللحظـة، يسـتبدُّ بنسـلنا، ويقيـمُ فـي الذاكـرة حيـث نقـدسُ ثـورَ السـماء هنـا علـى ضفـافِ دجلـة.

نعود لبيوتنا منكسرين

نعودُ كأننا، كنّا نعبر جسراً بين موتين،

صرنا ندفن صوراً لفضائح بين ضفتين،

صرنـا ندفـن صـوراً فاضحـة للمحتميـن وراء انحـدارك أيهـا التاريـخ،

تمـرُّ عليـك أحلامنـا فتنسـاها ولـم تكتـرث، تمـرُّ عليـك الأيـام عجلـى، فيختفـي وهجُك،ـ تتسـلّقك أعماقنـا فلـم تجد لنـا حلاً، هكـذا أنـت أيهـا التاريـخ،

لـم نعـد بحاجـة إليـكَ، كـن منصفـاً، فلتكـن لنـا ضفـة،

ولـك ضفـة أخـرى،
الآن وقد جفَّ لمعانُكَ، انكسرَ جسرُك بين لحظتين،
انكسرَ بين جبلين،
انكسرَ بين مدينتين،
كأنك لم تكن ممتداً بيننا كل هذه السنين.
بعد أن فاض رحيقكِ على الكراسي،
استيقظتِ المعجزات.
تتلوى حياتنا،
أفعى ماكرة تتلوى،
انتشـر الوبـاء، وسـيجيء الطوفـان، يُجـيء ملكُ السـحاب بـثلاث غمامـات موشّـحة بالغضـب والسـخط، تعصـفُ ريـاح عاتيـة، تكنـسُ الضبـاع، يهـبُّ بعـوضٌ وجـراد، تنهـارُ سـقوف وأبـواب.
بعد فيضِ رحيقكِ على الكراسي أيتها الفراشات،
استيقظتِ المعجزات.
فلمّا انتهينا الى الفرات،
واذا بكَ تمشي على الماء،
يرفعُكَ الموجُ، ويضعُكَ أخرى،
والسماء تمطرُ ماء الخلاص.

# كتاب الديناميت
# أو قنبلة معصوبة العينين

الذي كان يصولُ ويجول
كضبع أعرج مسعور
بين النهارات والنهرين
انبثق مع الكلمات
من ينبوع الكتاب
لم يقفل البابَ وراءه
تركهُ مواراً
فانتشر الوباء.

1

دخلتُ المدينة، بيني وبينها خوفٌ، خوفي من محو النسيان،
لذا أحكي عمّا رأيتُ، لم تكن هناك سوى الغربان
على الأسلاك، جثث كثيرة في الطريق،
صبيان

صبيانٌ وخناجر يترامون بها عند الطيران،
طيران الخفافيش بعد المساء.
الجرائم ليليةٌ دائماً،
غرابٌ لامع العينين على الأشجار،
رأيتُ أرملةً معصوبة،
تُسحل في مدينة منكوبة،
رأيتُ مشهداً لعراكٍ
بين رأسين مقطوعين،
لعراكٍ مقطوع اليدين، منذ أن بلغتُ العشرين حتى المعارك الأخيرة.

2

أفتح المتاهة مثل كتابٍ طيّةً، طيّةً لي، ولآخرين تاهوا قبلي، ولآخرين بعدي في نيتهم التيه.
منذ أن بلغتُ العشرين حتى هذا المجهول، أجرّ حبال أيّامي على كتفي، أجرُّ قارباً فوق عطش الرمال، شعلتي في يدي، كأنني أنير طريقاً لخيول عمياء.
تائهٌ
ترك رفيفه منثوراً

على هذا الفضاء،
رفسَ درّتهُ، ونسيّ ضجيجَه
مبعثراً على التلال،
بعد أنينهِ الطويلِ
اختبأ في ناي نحيل.
أمام المدينة قنبلة معصوبة العينين.

3

في المدينة أرملةٌ معصوبة العينين،
بحبلٍ مشدودة اليدين، تسحلها عربةُ الغرباء، كنتُ أصغي، وأرى، عبرَ الأسلاك الشائكة من وراء الشجرة، وبنظرة خاطفة،
سمعتُ أحدهم يقول: أي جحيم هذا؟
كانت عيناي في عينيه مشعّتين كجمرتين،
رأيتُ كهفاً يأوي إليه التائهون،
والذين استوحشَوا في الحيرة والهرب.
رأيتُ على ضفةِ النهر باباً للمدينة يتسلّلُ منه في أشدّ الساعاتِ ظلمةً، غرباء معهم قنبلة معصوبة العينين، يرفعون لافتةً كتب عليها الموت للحائرين.

سـمعتُ مـن وراء الضبـاب رفيـفَ أجنحـةٍ، فـرّ النـاسُ
تاركيـن بيوتهـم لـكلّ غريـبٍ عابـرٍ مـن الصحـراء،
رأيتُ حمامةَ الأعمى تطيرُ، وترفرفُ، تنزفُ عدماً في هذا
المكان.

4

تحت الراية السوداء
تركَ بستانه مفتوحاً
للسيّافين واللصوص
ومصاصي الدماء،
يهربُ
من يومٍ لآخر،
ومن بيت إلى بيت
من بستانه إلى الصمت،
كحيرة العينين، وهي ترى
تائهاً بين شبّاك الحقيقة
وسلاسل الأوهام،
شاحباً، مشوَّشَ الإيقاع بفوضى الرياح،
أهذه راية أم جرّافةٌ؟

تجرفُ القشّ، والأشجار، والبيوت،
لم تتركْ أحداً يدفن القتلى، كما كان يعلمنا الغراب.

5

في البدء كان الغراب
وبعده الأخ القاتل،
السيفُ فضيحةُ الكلمات، تتوهجُ الأسرارُ في محبرة التذكر، تذكّرتُ أخلائي الذين تشتتوا، جمعتُ أرواحهم وطيّرتها في سواد نهار طويل، جثث متروكة وراء البيوت،
رأيتُ الحمام يحترق فوق لهيب العدم،
رأيتُ النساء المستباحات الحزينات يجلسن تحت خيام السبيّ،
لم يرَ أحدٌ ريشهن الجارح في المخابئ، البومةُ تضيء ليلَ الخرائب، المناديل ترفرفُ على الأشجار، الرياحُ بعثرت الصدى، سالتِ الأرواح مع الصراخ وطارت، كنتُ بلا حياة ولا موت، أصغي وأروي في هذه الظلمة، لقد كنتُ أول الحائرين، ومعي صاحبي يحملُ لافتةً، رسمَ عليها كوكباً، يمسكهُ نمرٌ أبيض، حول رأسه

ثلاث نجــوم مرصّعــة بشَــذر أزرق.

6

يسألُ الغريبُ سؤالاً
في زاوية الشارع،
ويحكي عن لافتةٍ لأحد التائهين.
لم يفهمْ لغتَه العابرون.
صوتٌ يهمسُ لصاحبه:
عن الذين هربوا من القنّاص،
إلى التهمة،
ومن التهمة
إلى الوهم،
ومن الوهم
إلى أنفسهم،
ومن أنفسهم
إلى الهرب،
عن صورةٍ حطّتْ عليها فراشة حمراء،
على دماء الذين سقطوا في المجازر
فردّ عليه صاحبه السريانيُّ: هذا نهارٌ تفتحُ أبوابَهُ الضباع.

رايةٌ سوداء، أكلتْ قلوب الأنبياء، هدّمتْ قبورهم،
نثرتْ عظامهم في المستنقعات.

7

لكلّ مذبوحٍ إله، كان مجرّداً كسيفِ البرقِ في السماء،
تصدّعتْ أعناقُ القواريرِ، رؤوسٌ تطلُّ من النوافذ، تنتشرُ
روائحُ الجثث القديمة، أهذه راية أم طاحونةٌ،
أم مدينةٌ بين نهرين من دمٍ وعظام؟
الأبوابُ مشرّعةٌ للذبّاحين، اصطفتْ ضباع الكتاب،
تبحثُ عن الفؤوس لتقطع الرؤوس،
شربتْ أحلام المذبوحين، في مساء الفاجعة الدامية.

8

رأيتُ في فم الضبع كواكب تنزف دماً،
رأيتُ في الأفق ثلاث غمامات،
من الأولى تتدلى مطرقةٌ نحاسية حمراء،
والثانية تستلقي فوقها بيضةٌ سوداء كحوت بين
كَمَّاشتين، والثالثة تمسكُ بوقاً مخيفاً يُشبه التمساح،
وجوه مشوّهةٌ تتموج في دجلة والزاب، فيفيض الفرات

بـالأشلاء، والنائحـات تنـوح.

ملأوا الغابـةَ، وراء الأشـجار، علـى قمـمِ الجبـالِ، فـي عمـق الضبـاب، صالـوا وجالـوا، مزّقـوا الصبايـا فـي الأزقـة، فـرّت الطواويـسُ، دارتْ أيـدي الطواحيـن، تهدّمـتِ البيـوتُ، تفجّـرَ قلـبُ جرجيـس، تهـدّم صاحـبُ الحـوت، وفـرَّ شـيت، فاضـتِ الدمـوعُ، والنائحـات تنـوح، تكسّـرتْ رقائـق الصبايـا، فـرّتْ، هاجـرتِ الطيـور، جثـثٌ كثيـرةٌ علـى الطرقـات، تسـرّب دمُهـا فـي طيّـات الرمـال، هنـا طفـلٌ بِلا يديـن، صبيّـةٌ مخنوقـةٌ بلا لسـان،

هنا عينٌ كأنها جمرة منطفئة، هنا يدٌ،

هنا ساقٌ،

هنـا كتـابٌ شـريانُه ينـزفُ دمـاً، هنـاك رأسٌ تدحـرجَ حتـى جحيمـه، سـيوفٌ تحتـزّ الـرؤوس،

تهاوت التماثيل،

امّحت الكلمات،

اختنق السؤال

والنائحات تنوح.

9

من أيةِ بذرةٍ، من أيّ جذرٍ هذا الذبح؟
مَـنْ يدفعُ هذه الأنياب للإفتراس،
مَـنْ له قوة ان يمزّقَ القناع،
لِمَ كلّ هذه الدماء،
وما هذا النبع
نبع الموتِ الذي فاض من الكتاب،
ما هذه الضباع،
ضباع الليل، ضباع النهار؟.
في سواد نهار طويل
اصطدمَ رأسي برأسِه
رأيتُ شخصاً يأكلُ لحمَ أخيه
رأيتُ الغرابَ
منذ طيرانه القديمِ
حتّى منقاره المدمّى
ينثرُ نعيقه دماً
دليلاً على الطريقِ،
ولقرونٍ طويلةٍ،
أشقّ طريقي في صحراء ملتهبةٍ،
سميّتها حياتي الهشـّة.

10

حيـاةٌ ترتّـجُ تحـت قدمـيّ، كنـــتُ أصغـي لهـم عبـرَ الأسلاك الشـائكة، أراقبهـم زمـرةً، زمـرةً، يدخلـونَ إلـى الخان، ومنـهُ إلـى ضفـةِ النهـر، حـوادثٌ عجيبـةٌ وقعـتْ، كثـر غربـاء يتهامسـون فـي مدينـة اندثـرتْ بيـن الجثـث، هـي الخـان لـم يـره النـاس حيـن يطلّـون عليـه مـن أعمـاق انفسـهم، لا نوافـذ ليـروا مـن خلالهـا مـآذنَ شـحيحة الضـوء، المـآذن اسـقطتها الجـرذان، حيـاة لا بـاب لهـا، شـربتها الرمـال، فلاذ الخائفـون وراء السـواتر والسـياجات التـي تصـدّ عنهـم الرصـاص، والانفجـارات، الحرائـق التـي اشـعلتها الزيـوتُ، والكتـب السـميكة المعبـأة بالديناميـت، فضلـوا الطريـق وتاهـوا.

11

وصلوا الى كهف
يضمدّون جراحهم
خوفاً من تسرّب السمّ،
كلّما اقتربوا من المرايا
أسرفوا في الصراخ،
جثث تغزو أرواحهم ليلاً

بعيداً عن المدينة التي
ضاعت تحت الرمال،
غربان
أسمال
بساطيل
تائهٌ آخر وصل
صاح أين العازفون؟
فجاءهُ صوتٌ من بعيد
الرقصة لي في هذا الظلام
هذه أرملتي معصوبة العينين
قلبي لاقطُ صوتٍ
ألتقطُ رعب العالم
ومعي خطتي لاستعادة السفينة
نافذتي محطمة
وعلى شفتيّ تتأهب العاصفة.

أرملتي فقدتْ نورَ العين، لم تر، تكرّرت على لساني موجةٌ حرّة، تتجلى في نهر كلامي، يتكرّر المشهد في منامي، فلم أنس إنني كنتُ أروي دخان السماء، أحفر رمل ذاكرتي، أصغيت لنمائم الأشباح، أصغيتُ لحياةٍ

مسفوحة على الحيطان، منذ مائة عام، غزت مدينتنا الضباع حتى استوطنت الغرفات يبثون صور القتلى على الشاشات، ونشيداً للموت يهذي في الطرقات،

التذكّر دائي و قد أخطأتُ في النسيان،

رموا ناي القصب في كورة اللهب،

تكسّر إطار حياتي، تلألأ دمي على الأشجار، لمع الغراب،

لمعت عيناه على غصن الخراب، نزفتُ خضرتي قرب مسرح يقودني للرقصة الأخيرة في هذا الظلام، لم أصغِ لهم في دولة الأشباح، هدموا البيوت، حتى ان صرخة الطفل تبقّعُ الحيطان، أصغيتُ لأنين عجائز، وقوارير يسيل نورها تحت دم الأوراق التي تحترقُ ورقةً ورقةً، يختلط خيط الدم مع خيط الرماد، صرخة الغد تتعثرُ في خطوتي بين زقاقين، أنا والتائهون بين الخان والعراء.

12

أرملتي، حياة معصوبة العينين حذت حذوي، مثل سمكة ترقصُ فوق رفيف الهواء تختنق، وقد استطال عنقها لترى الغيمة الحمراء تدخل غرفات المنزل وتنام

فـي حظيـرة الثيـران المجنحـة، لتـرى رحيـق مـوت تشـعه العيـون، عيـون الجثـث الدامعـة، تطفـو علـى الميـاه، تطفـو علـى سـواد الأيـام، علـى كـفّ الأجوبـة اللامعـة.

تـرى كيـف نخلـع معطـف الـظلام؟، لنـرى الضبـع فـي القفـص، لنـراه بلا أنيـاب فـي ملعـب السـيرك، ليـراه الأطفـال، الأمهـات، المنفيـون، السـجناء، التائهـون وقـد جـرّح جفونهـم الملـح.

أنا وصاحبي السريانيّ
في الطريق إلى الساحة،
كانَ بإمكاني اجتياز المتاهة،
الرحلةُ لم تؤجل رعبَها،
الآن كلّ الجهات،
تحتاج لإعادةِ ترتيبٍ
في نظرة البوصلةِ أو في الرأس،
حكى لي صاحبي
بأني كنتُ مثل مجنون
تقيّدهُ الجنّياتُ،
رأسي يدورُ مثل مروحةٍ
شاهقاً ببصري نحو السقف،

لم يشعر أحدٌ معي بالندم،
لقد كنتُ محموماً
أهذي وأصرخُ،
وكلّما أحكي عمّا رأيت،
أبدأ بالدورانِ،
أدورُ، أدورُ
وانتحبُ لفقداني الطريق.

# درسٌ في الحبّ، أو حارسُ ليل المدينة.

1

برأسٍ ناصعٍ ووجه شاحبٍ ونظرات حائرة، وأجنحة متكسّرة وبعينين تحترقان، كان في المقهى وقت الغروب حطّتْ على رأسه حمامةٌ، فوقعتْ في قلبه محبةٌ خفيةٌ، غريبةٌ وعميقةٌ، قرأ على جناحها، أن العالمَ أشدّ زرقةً من الهديلِ، أبصرها بعيون الحارس، وقد صار الفاتح لهذا الفضاء بكلمة واحدة، نام في أحشائها، دخلَ عرشَها، جلسَ على بساطِ حياتها.

2

رأيتُ نفسي خائفةً من صدمات المدينة، قلتُ: أنا هو الذي يمحو لأجلِها نفسه، ويقرأ لخمسةٍ آخرين، معه يسيرون.

في طريقه تشبثوا حتى وجدوها، رفعوها وجدوا السادسَ فيها يكتبُ ما لم تره الأيامُ، ولما يصل لكتابةِ الذروة يضع لهبَ الشمعةِ على أطرافِ الورق، يضع

الحيـاةَ أمـام العـدم، ويجعـلُ البـذرةَ بالقـربِ مـن حبرِهـا السـريّ، يجعلُهـا فـوق رأسـهِ ترفـرفُ ويهمـسُ لهـا: فـي أعماقـي لـكِ بهجـةٌ لا توصـف لـكِ الكلمـات الزرقـاء ومهارتهـا فـي التفتّـحِ أيتهـا المدينـة.

تفتّحتْ، رأيتُها، رأيتُ الحارسَ.

فـي فصـلٍ أخيـر مـن حراسـتِه، رأيتُـه ذاتـه، ذاتـه، فجنبنـي فيـه العلـلَ وبلّغنـي معرفةً أخـرى، وجدتـُـه، وجدتـُـه فتجلتْ أسـماؤه كلهـا، الحـارس، والطـارق، والـملاك والآخـر الـذي يمحـو، الشـاعر والخيّـاط، القـارئ، والسـامع وقعـوا فـي فخـاخ المدينـة.

3

هنـاك اصطـدتُ العوالـمَ، وجـدتُ جمـرات كثيـرةً، أنينـاً خفيـاً، عجائـب سـريةً، فـررتُ، فـررتُ ولـم أسـتجب للإصغـاء.

صوتـي يكـررُ: يـا كاشـفةً لإشـراقي لا تخيبينـي، يـا ملجـأ الهاربيـن مـن الكراهيـة لا مخبـأ لـي سـواكِ، وضعـتُ علـى كلّ شـيءٍ اسـمكِ، فلا تبعثـري شـأني، وجدتـكِ فتجلـّـتْ أسـماؤك.

وجـدتُ الماحـي يغطيـكِ بغيمـةٍ، يدثـركِ ويـدوّن برقـكِ يـدوّن مـوتَ الأشـخاص، شـخصاً، شـخصاً، كأنـهُ يكتـبُ مصيـرَه ويمحـوه. وبخـوفٍ يتفـوّه: مـا تزاليـن تمضيـن فـي روحـي، متـى تكفّيـنَ المـوتَ عـن حيـاة الأبريـاء، عـن بغداد؟

عـن بغـداد كان يحفـظُ درسـاً فـي الحـبّ ويعمّـقُ محبتها، وجـدَ علـى سـاقها عبـارةً موشـومةً عـن عاشـقٍ قـد جـنّ فـي حـبّ عاشـقةٍ قـد جنـتْ هـي أيضـاً، وهمـا الآن علـى الجسـر، يطيـران تحـت الغبـار.

رأيتهما، رأيتُ فيهما العالمَ.

وفـي هـذا رأيـتُ ثلاث مصائـب صـرْنَ مصيـري، قـرأتُ، قـرأتُ فيهـن مدينتـي التـي تشـظّتْ، تشـظّتْ، وظـل الخيّـاط يقـرأ، وأنـا أقـرأ وأنظـر إليـه وأسـأُل: كيـف أنـا هـو، كيـف أنـا فيـه وأنـا فـي عالـم آخـر أنظـر إليـه؟ اخترقـتُـهُ، اخترقَـتْـهُ نظرتـي يخـرجُ مـن قوسـها سـهمٌ، منـه افـرّ، أفـرّ مـن مدرسـة الحـرّاس فـي منتصـفِ الليـل، كنـت احمـلُ قلمـاً وورقـاً، تسلـلتُ وتوجهـتُ إلـى حـارسِ الحانـة، حـارسِ السـكر، تهيبـتُ مـرآه فـي قلعـة أهلنـا، هممـتُ قبـل صيـاح الديـك، فدخلـتُ رأيـتُ، رأيـتُ فيـه الإنسـان.

4

فـي هـذا لـم أر سـوى سـتة غربـاء يجمعـون البـذور وينثرونهـا، مـرة بعـد أخـرى، أنهـم هنـاك فـي لفائـف الأوراق، فـي الصبـاح نازعتنـي سـكرتي فرأيـتُ غابـةً سـوداء، تهيّبـتُ ظلامهـا، وانتابنـي الرجـفُ، ارتجفـتُ حتـى انتبهـتُ، عندهـا نازعتنـي نفسـي، فنازعتْهـا المحبـةُ، هممـتُ حتـى اقتربـتُ، أخافتنـي صـورةٌ علـى الجـدار تحتهـا كلمـة واحـدة شـربتها كلهـا. فصـرت أنـا العاشـق الـذي جـنّ بهـا، انتقيتهـا لا غبـار عليهـا. هـي كيـسٌ مـن الحـروف، مدينتـي، بأحجارهـا، وأشـجارها، وحيواناتهـا، وأنهارهـا، وعالمهـا، وترابهـا، وإنسـانها، وحارسـها، مدينتـي، مدينتـي حملتُـها علـى كتفـي ومضيـت.

# سبيكةٌ غامضةٌ في مشهدٍ زائل

أريدها سبيكةً فضيّةً غامضةً: يقول صاحبي.

وقد اعتنيتُ بها مراراً، ألوذُ إليها بالفِرار منّي، صغتُها إيقاعاً لنفسي، كرّرتني أمواجُها، أنسجُها قصةً للرغبة في البقاء، أجلو السرّ كي أتنفس.

1

ألملمُ أيّامي معها، أتدلى بها، وأتأرجحُ برقّاصها عابثاً، أرتجف صاعداً، وأهبطُ مرتجفاً، أرتطمُ بطيّاتها لأنقذَ لحظتي من الزوال.

2

هذا هدير جرحي الجديد، الفقدانُ يحفرُ مقبرةً في صميم نفسي، عبثٌ يجري بين كلماتي في نهر الجمرات، يصوغ وميضاً لإيقاعِ شخصي، يؤرجحني يميناً ويساراً، أصعدُ سلّم الخيال حارساً لعراء العدم، عارياً لا غابة لي، ولا شجر، سوى سكوتي تدخنهُ

الكلمـات، سـوى لسـاني ألعـبُ معـه لتندمـلَ الجـروحُ، وهـذا ليـس كافيـاً لتكتمـل لعبـةُ القـدر.

3

كأنني أصفُ غريقاً، أستنجدُ بيديه،

أن تمسـكا لـي الهـواء مـن أذنيـه، كلّمـا تبـدأ رئتـي بالشـهيق، يتلفـظُ قلبـي نبـضَ العـدم، حروفـي خيـوطُ التنفـس تتمايـلُ فـوق البيـاض، هالـةٌ تحيـطُ أصابـعَ الرسـالة بهديـل البلـل، فـي منتصـف الليـلِ فـي مشـهدٍ زائـل، أنزلنـي فـي بئـره، مسّـني شـعاعُه، فانسـكبَ فـي قدحـي الكتـابُ.

4

قال لي صاحبي: أريد سبيكةً فضيّةً غامضة.

لـم أكـن علـى كرسـيّ، ولـم يـرف وجهـي علـى الميـاه، لا نـور عنـدي مـن مصبـاح الزجاجـة، ولا أغصـان مـن زيتونـة وحيـدةٍ، لأسـتدرج حمامـةَ السـفينة لقفصـي، كنـتُ فـي المدينـة ذاهبـاً لشـارع بعيـدٍ، مـن أجـل أن أتخيّـل لـي مصيـراً، فسـالتِ الشـمس، فـوق الأشـجار علـى الرصيـف،

سـقطتْ علـى الأرض لؤلـؤةٌ سـاخنةٌ فتوّهـجَ تحـت

عينـيّ اللهـب، ارتعشـت يـدُ المسـاء، رفرفـتِ المناديـلُ هادئـةً، هـذا مـا تخيّلتـه فـي الطريـق.

5

قلتُ لصاحبي: هذه سبيكةٌ غامضةٌ في مشهدٍ زائل،

أهذه هي حياتي

عبـثٌ أم وميـض يتمـوّجُ بيـن عينـيّ؟ يأخذنـي الـى نظـرةٍ قديمـةٍ، لأرى وردةً قطفـتْ نفسـها، اختفـتْ مـن بلـل الزمـن، لأرى شـجرةً ثمرتهـا كـرأس أفعـى،

هربتُ بفأسي

ألملمُ نفسي،

التي تركتها على الحافة،

غرق قلبي في الفقدان،

فهربتُ منّي

لفّني الليلُ

وأخذتني الأرصفة.

6

مــن يتفّقــد زوالــي، مــن يعيــد تركيــب هــذا المشــهد المبعثــر؟

يعيــده بشــكلٍ حــرٍّ، ومختلــف وجديــد، مجــرد كلام، وتحريــض صامــت، يائــس، يســعى لاهثــاً وراء الأبــد، فلــم ينجــح فــي اقتناصــه.

7

في كلّ مساء أتخذُ جادة خطرة،

أســيرُ معهــا منــذهلاً، بإصغــاء مرهــفٍ، أنحــتُ مهــارةَ الــروح، أمســكُ لهبَهــا الزائــل، أتفــوّهُ بــكلام يلمــعُ كدمــوع البــرق فــي العيــون، أقتنــصُ الخيــال الــذي تفجّــرت ينابيعــه، أبصــرُ مــا خلــف الســتار، كنــتُ أســرُّكَ مفتــاحَ الحكايــةَ أيهــا الصاحــب، فتــورِقُ فــي مســاء المقهــى الأخبــار، ينتشــرُ ســرّه فــي الأزقــة،

يذاع اسمه عالياً في كلّ زقاق.

8

لـم أجـد حمامـةً تطيـرُ بصوتـي الـذي يمطـرُ ألمـاً تحـت كلمـات السـبيكة. أمضـي معـكَ، لـم أعـرف إلـى أيـن، لا الجحيـم لـي ولا الفـردوس، مـع رصيفـي، وقـتلاي، كنـتُ أحلـم بمـكانٍ، يلهمنـي كـي أصيـر مـا أريـد، أصيـرُ الخاطـئ، واللاعـب، الغامـض والزائـل، أبصـرُ الرؤيـا، فأمضـي لسـبيكةٍ فضيّـةٍ غامضـة الجمـال،

لم أختفِ بعدها،

لا أريد معجزةً،

أريد أن أنام

بلا خوفٍ تحت المجرّة.

9

أيها الراغبُ في اقتناص الشيء قبل اختفائه،

أيها القابضُ على الجمرة،

لنرتطم بريشة الطائر التي معدنها من الغبار،

لماذا لا أسحب العالم إلى الأعماق،

وأتركُ القشور في الجرّة؟

لأسحبه، لأجرّه،

ولكن إلى أين؟
لا بيت لي
يا صاحبي، سوى الكتاب
يا صاحب الكهف الذي يريد سبيكةً فضيّةً غامضة،
كهفي الحياة، رعبُ الكتابة، كتابة الرعب،
لا الـكلام، لا الكلمـات التـي تمطـرُ ألمـاً فـوق رفيـف الحـروف.

10

ومضـةُ الجمـال تتآمـرُ علـى بهجـة العمـق العابـر للزمـن، نسـحبهُ إلـى الأعمـاق فـي السَّـحابة، إلـى فضلـةِ البـرق، نزيـلُ الينبـوع، لنكتشـف المصيـر، سِـرتُ سـحابة يومـي، وطائفـة مـن الـظلام ممتـدة علـى طـول الـبلاد، قلّبـتُ الطرقـات ظهـراً لبطـن، تذهـبُ واحـدةٌ وتجـيء أخـرى،
رأيتُ الذي في عتمة البئر غرق،
والسعف الذي تطايرَ في العاصفة،
رأيتُ الذين مسّه الجنون على الورق،
رأيتُ صوراً في الطريق لأشباح تثرثرُ تقولُ ولا تفعل،
رأيتُ كلاباً مطوّقة بقلائد من جمان،

رأيتُ ذكر الغول وهو أقرب القرود للإنسان، تذكّرتُ محنتي منذ الأزل، أعيش بموسيقى الفكرة، أعزلُ القوة، وأزجُّ الغربةَ بالطبيعة، أبحث عن الغامض في الزائل، وراء النوافذ، في الحافلة العابرة، في أدوات المطبخ، هناك حياة منسيّة زاخرة، كيف أخلّصها من التفوّهات الشاحبة؟

11

أرجعُ للبسيط كي أكتشف المطلق فيه،

أنسى لأكتشف، أرتعشُ وأفاجئ، أتخلّص من سجون الكتب بحريتي الكبرى، أهضمُ سريعاً وأنسى، أعودُ بروحي الحافية، بلا أثرٍ يدلّ على الماضي، رياحُ الطريقِ تعصفُ بمهارتي، فتذبلُ رياضيات الروح، جمعتُ العزلة مع الحياة، الحقائق مع الخيال، الألعاب مع الطفولة، الحديقة إلى أقدامي، وقلتُ سألعب.

اللسانُ لا يطوّقه الكلام،

سحبتُ العالم،

سحبتُ العنكبوت،

سحبتُ الأفعى التي تطير، سحبتُ الإناث اللواتي فيهن سواد ضارب إلى الاحمرار، وسائر البيض، الظبية

السـاربة الواضحـة كالسـراج، والعابريـن، الشـجرة الوحيـدة، سـحبتُ الخفيـف والكثيـف، والـذي حملتـه الريـاح وذرّتـه، ومـا تسـاقط مـن ورق الشـجر، أثـر النـور فـي أقـداح الليـل، ومن البغال السريعة الخفيفة،

وأسماء الغرقى على ضفاف الأنهار،

سـحبتُ العالـم كلـه، ومعـه مهـارة الـروح تطـوفُ، سـحبتُ كلَّ شـيءٍ لكتابـي،

فَرَرْتُ إليه،

همستُ له

فاستيقظتِ العاصفةُ

بين طيّتيه وهبّتْ.

الكتابةُ مستقبلُ الزمن، انفجارٌ مؤجلٌ،

وضـوح رؤيـة، وزهـدٌ يختـزنُ البـرق، السـاعاتُ أوهـامٌ، تنفيـس، شـراك تطيـح بالـروح، تغمسـها بالصـدأ، الزمـن والجمـال يتقـابلان، الأول يـؤدي إلـى الـزوال، والآخـر يفلـتُ منـه، ليخلـق ديمومـةً سـرّها كامـن فـي روح الـروح، هـذا مطلـق أكبـر مـن اللغـة، لكنّـه فـي داخـل الإنسـان،

الأصلُ هو الحسُّ المهذّب

الـذي يجيـد التغذيـة المتبادلـة بيـن النغـم والرياضيـات،

تذكّرتُ الحروف المختفية تحت عقلها الرياضي، وحسها الخارق، تذكّرتُ هذا اللاعب المستتر الشغوف بالموسيقى في داخله، المايسترو إذا سقطت عصاه تحلّ الكارثة، كارثتي تبدأ وتنتهي بعصاه،

من أجمل الأشياء أن تكون ساحلاً، ساحل الأمل الأخير، بؤرة طاردة لوحشة الفراغ، نغمٌ يتغلغلُ في الحياة.

تعبتُ ونمتُ فوق خيول المساء الذي تتطايرُ دقائقه كالريش في العاصفة، وقد كان عنقي جذعاً لرأس الشجرة.

12

برقُ العلامات سال من الماء الغريب الى إيقاع الجمرة في كتابي وهو يجعلُ الكائنات موجودة بزوالها، يسمّي الأشياء، يلتقطُها، يبعثرُها فوق باب رأسي،

يتحدى الفقدانَ الذي يحفرُ مقبرةً في صميم نفسي، أو في نهر الانتظار.

فَرَرْتُ لصاحبي كي ينقذني، ومعي سبيكةٌ فضيّةٌ غامضة.

# لحظة حب

بعد موتي
حينما أعود لبيتي
سأجدكِ نائمةً مع شخصٍ غريبٍ،
غريب!.
أتاملُ المشهدَ قليلاً
أكتشفُ لحظةَ حبّكِ
بعدها،
أجمعكِ بين ذراعيّ، وأمضي معكِ
أتموّجُ فوق الهاوية.

# إشاراتٌ

1- نصوص الديوان مما كتبه الشاعر بين عامي (2020-2023)- بغداد

2-في قصيدة (رحلةٌ خيالية نحو امرأة في برلين) يرد ذكر:

- لـ( جيوسيب تارتيني) وهو ملحن موسيقى وعازف كمان إيطالي، تألق في عصر الباروك.
- مادالينا لومبارديني هي السيدة التي ارسل لها جيوسيب تارتيني رسالة نُشرت فيما بعد كدرس فني متفرد لعازفي الكمان.
- برج برلين يقع في ساحة أليكسندربلاتز في حي ميتيه في مدينة برلين.
- نهر شبريه أَحد أَنهار ألمانيا.
- مبنى الرايخستاغ هو مبنى البرلمان السابق في الرايخ الألماني افتتح في عام 1894م حتى عام 1933م

وقد تم احراقه، لأنه يعد بمثابة برلمان للنظام النازي.

• قصر شارلوتنبرغ هو أكبر القصور الذي تمت اقامته وبنائه حتى اليوم في برلين.

• كنيسة القيصر ويلهلم التذكارية هي رمز ألمانيا للسلام والتصالح وتعد من أهم المعالم في مدينة برلين.

• جادة أونتر دين لندن، جادة تحت الزيزفون هي منطقة سياحية تقع في قلب عاصمة ألمانيا برلين، وتشتهر بجمال الطبيعة وشوارعها المنظمة ...

• شارع فردريش شتراسه يعتبر أحد أهم الشوارع في مدينة برلين، لهندسته المعمارية المميزة.

• سحابة الفطر أو (سحابة عيش الغراب) هي سحابة تأخذ شكل فطر عيش الغراب، وتتكون من دخان كثيف ولهب وحطام، نتيجة لانفجار هائل. وترتبط هذه السحابة بالانفجارات النووية.

3 - في نص (أصواتٌ مملوءة بالندم، أو الحلم الذي قرأتُهُ) ترد كلمة (الهِندِس) ومعناها في العربية الفصيحة : من الرجال: المجرّب الجيّد النظر، وفي اللهجة العراقية: الليل شديد الظلمة، وتقابلها كلمة (حندس) بالفصحى.

# الفهرست


افتِتاح..... 5

لحظة العهد السريّ..... 7

المفاتيح في المخيلة..... 9

التماعة خاطفة..... 11

بعد الغابة، أو بابٌ بلا مغزى..... 13

رحلةٌ خيالية نحو امرأة في برلين..... 23

غلطة الغراب، أو الأيامُ الشاحبة..... 31

في الغابة السوداء بين طفلين وامرأة..... 47

لعبة الليل أو شعلته..... 53

أصواتٌ مملوءة بالندم، أو الحلم الذي قرأتُهُ..... 65

فراشات على كراسي متحركة..... 69

كتاب الديناميت أو قنبلة معصوبة العينين..... 79

درسٌ في الحبّ، أو حارسُ ليل المدينة..... 93

سبيكةٌ غامضةٌ في مشهدٍ زائل..... 97

لحظة حب..... 107

إشاراتٌ..... 109

نصوص هذا الكتاب هي انعكاس للحبّ على مرآة الكلمات، إنّها مكان ذاتي وموضوعي، اختيار وأصوات وذاكرة، بالحبّ يحاولُ الشاعرُ أن يكتبَ مصيره الروحي وحضوره المشترك.

لم نجد نحن البشر في الحياة سوى تجربتين هائلتين؛ الحبّ، والموت، إذ أنّه فكرة الحضور والتجسد، كما تكرسه نصوص هذا الكتاب الشعري، فإن فكرة الحب تتطلب الآخر، وبما يجعل الحبّ سببَ العالم، وبناء الحياة الذي يضع المرأة في المقدمة من أي شيء، المرأة سبب الكثرة، وسبب الحياة، فيما يظل الموت هو ما يمحو الجسد، وهو في هذه النصوص تجسيد لفكرة الغياب والمحو.

بموجب هذا فالحبّ هو انخطاف مثل كلّ فن، أمواجهُ تـُخصب مخـيّلة الشاعر، وتُملي عليه القصيدة بتموجات ابتكاراتها الباطنة، لأنّه الفرح الذي لا يعبّر عنه.

إنهـا نصوص ترتقي بالحبّ نحو المغامرة والإثارة، انقذاف نحو المستقبل، رحلة ضدّ الموت، وبما يجعل الشعر والحبّ جوهراً واحداً؛ الجسد واللغة.

بالمرأة، أو بالابتكار، وبكليهما مكمن السرّ في ديمومة الحبّ والشعر، إنهما صنو مثل الحياة لا يعرفان الزوال.

الناشر


AKAD

ISBN 978-9922-9598-21-1
9789922959821


› شعر